صدر عن (المدى)

الإستشراق والإسلام

تمازج الدين والدولة .. فرضيات في الجدل المعاصر

أثير جواد جبار

ان اهم موضوع شغل المستشرقين على طول التأريخ المعاصر هو موضوع الإسلام. والإسلام -كدين سماوي- لم يشكل نقطة استفهام كبيرة لدى هؤلاء المستشرقين بقدر ما شكل ارتباط الإسلام وتأثيراته في الحياة السياسية (عند بداية تكوينها) والاجتماعية والاقتصادية لدى الشعوب التي تعتنقه وبالأخص الشعوب العربية، كمادة بحثية حيوية ومتجددة، في فترة كانت أوربا، باعتبارها منطلق اغلب المستشرقين، قد خلعت عن نفسها لبوس التدين وتوجهت ضمن اتجاهات أطلقت عليها مسميات عدة تلتقي كلها ضمن نقطة واحدة، جسدت تصوراتها عن الموازنة، او حتى الاقصاء والفصل التام، بين الحياة الإنسانية من جهة والأديان السماوية من جهة أخرى.

يعيد الكتاب تسليط الضوء على بحوث ألقيت في إحدى الندوات العلمية من العام ١٩٨٨ عن حركية العامل الإسلامي في بلدان الشرق عموماً مع تركيز خاص على البلدان العربية. ثلاثة عشر بحثاً ضمها الكتاب بين دفتيه هي خلاصة ما استقاه معد الكتاب من نتاجات واحد وثلاثين باحثاً شاركوا في تلك الندوة.

ومما يظهر واضحاً، انه وبفعل المدة الزمنية التي مرت على تلك الندوة وبحكم تغير مناخ السياسة العالمية وبروز ما يسمى (النظام العالمي الجديد) والسياسة العربية والإسلامية تحديداً، والتغير الكبير الذي طرأ على بلدان الشرق الأوسط عموماً، وبروز دور العامل الإسلامي السياسي في المنطقة العربية تحديداً، أو الصراع الدائر بين القيادات العلمانية الحاكمة في بعض البلدان والتنظيمات السياسية المصبوغة بصبغة إسلامية رافعة أكثر من شعار إسلامي، فقد أوضح معد الكتاب في مقدمته: "قد يثير العنوان بعضاً من التباس. إن موضوع البحث، اساساً، هو الإسلام المعاصر كبنية فكرية، وكمنظومة إيمانية وأخلاقية وسياسية، كمؤسسة اجتماعية وحركات سياسية حاضرة في مسامات المجتمع بأسره. بيد إن دراسة الظاهرة لا تقتصر على الحاضر، والراهن، بل تمتد لتشمل تأريخ التشكل بحكم طبيعة مادة البحث بذاتها".

توزعت البحوث المقدمة بين ما يمكن إن يلخص في ما يأتي:

- الاتجاه الأول يمثل مدرسة يمكن تسميتها مدرسة "الازدواجية – التاريخية". ترى هذه المدرسة إن الشرق عموماً، وبخاصة العالم الإسلامي والعربي يتطور نحو الرأسمالية باسلوب بالغ التميز قوامه ازدواجية في أنماط الإنتاج وفي الثقافة والقيم، وتطلق المدرسة على هذه الظاهرة مفهوم "مركب التقليد –الحداثة".

- الاتجاه الثاني، يرى إن ظاهرة الانبعاث الإسلامي تمثل ردة فعل أو احتجاجاً على الفشل في القضاء على التخلف في المنطقة، أي يحاول إرجاع الظاهرة إلى عوامل اجتماعية، اقتصادية .ترتبط بمشكلات التبعية والتخلف.

تطرقت البروفيسورة السوفيتية (ل.ر.بولنسكايا) في بحثها الموسوم أعلاه، والذي احتل الصدارة في الكتاب إلى العوامل التي أسهمت في تكوين الفكر السياسي المعاصر لدى الشعوب بصورة عامة، وأشارت إلى أديان الدولة في العصور السابقة وكيف إن الوعاظ الدينيين هم أول الإيديولوجيين، وان النظرات الأخلاقية والفلسفية والسياسية كانت مندمجة في تعاليمهم (بغض النظر عن أي دين يعتنقون).

ثم تذهب إلى إن المجتمعات القروسطية هي التي سمحت للدين -أي دين- بان يكون له دوراً في حياتها قائلة: "لقد كانت أديان الدولة، في العالم القديم، هي أكثر أشكال الايديولوجيا تبلوراً. وفي القرون الوسطى قامت الاديان العالمية (المسيحية والاسلام والبوذية) بدور الايديولوجيا. وحسب الاكاديمي السوفيتي (ن.ل. كونراد): إن المجتمعات القروسطية هي التي اتاحت للدين إن يضطلع بهذا الدور الحصري.. لقد اصبح الدين منظومة القانون، والمذهب السياسي، والتعاليم الاخلاقية في القرون الوسطى".

إن ديمومة تأثير الدين الإسلامي في أنماط الحياة المختلفة لدى الشعوب الشرق اوسطية قد ارجعته (بولنسكايا) إلى إن القادة التقليديين هم الذين قادوا حركات التحرر الاولى: "ان الاسباب التاريخية لديمومة التقاليد الدينية تشمل سياسة الكولونيالية، من جهة، وبطء وتيرة تشكل المجتمع المدني في الشرق، من جهة أخرى. إن المجتمع المدني بطبقاته الحديثة وبناه السياسية الحديثة لم يخرج إلى الوجود الا مؤخراً، بعد إن حازت بلدان الشرق على استقلالها. وفي ظل هذه الظروف ظلت الاشكال القروسطية من الاحتجاج الاجتماعي والسياسي راسخة بثبات في الوعي الاجتماعي في القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين. وان ما يسمى بالقادة التقليديين، شيوخ العشائر، الاقطاعيين، القادة الدينيين، كثيراً ما تزعموا المرحلة الاولى من حركات التحرر الوطني. بل افلح هؤلاء ايضاً في الاحتفاظ بمواقع مهمة حتى في مراحل تالية. وتقدم "الثورة الإسلامية" في ايران اسطع مثال على احتفاظ العلماء الدينيين بالدور القيادي في السياسة".

ثم تصل (بولنسكايا) إلى طرح سؤال مهم اجابت عنه مباشرة: "هل من الممكن اعتبار اللجوء إلى الدين في مجال حركة التحرر الوطني امارة على ضيق التفكير السياسي؟. إن اللجوء إلى الدين ليس ملازماً للمجموعات الاجتماعية التقليدية فحسب (شيوخ العشائر والفلاحين والإقطاعيين الدنيويين والدينيين) بل ايضاً للقادة البرجوازيين والبرجوازيين الصغار ايضاً. وهكذا فان اللجوء إلى الدين ليس مؤشراً على تخلف الفكر السياسي".

واختتمت (بولنسكايا) بحثها بان اللجوء إلى التقاليد الدينية خلال عملية تشكل الفكر السياسي هو عامل معوق لتشكيل الوعي السياسي والطبقي الحديث.

إن بحث (الطيب علي احمد) من السودان – وهو العربي المسلم الوحيد الذي جاء بحثه ضمن الكتاب- يعتبر، من وجهة نظري، قد وضع اليد على الجرح بخصوص السياسات الإسلامية، بالرغم من كونه جاء متناغماً إلى حد ما مع ما ذهب اليه بقية الباحثين في بحوثهم، آخذاً بلده وما شهده من احداث مثالاً على ذلك.

فالسودان المتكون من مجموعات عرقية مختلفة، تعتنق اديانا مختلفة، قد: "تعرض لتجربة الدكتاتورية العسكرية الدموية للجنرال النميري (الصديق المخلص للرئيس أنور السادات)، فقد بايعه الاخوان المسلمون اماماً أي قائداً وحاكماً لسائر المسلمين. إن تجربة فرض ما يسمى بقوانين الشريعة خلال ديكتاتورية نميري قد آلت إلى فشل ذريع، واسهمت في واقع الامر في الاطاحة بنظام حكمه على يد الانتفاضة الجماهيرية الشعبية في نيسان ١٩٨٥".

نجح الطيب علي احمد في توضيح صورة مبهمة على معظم المستشرقين والتي تكونت لديهم بفعل تناولهم الاسلام مادة بحثية فقط، كونهم لم يحاولوا التعرف على حقيقة الدين الإسلامي الحق، بل انساقوا وراء اغراض خبيثة كان الإسلام اداة في يد منفذيها لتحقيق اهدافهم، مستغلين تمسك المسلمين بدينهم، طمعاً بمكاسب دنيوية خاصة.

رسالة القاهرة

اختتام فعاليات مهرجان للشعر العربي

علي الشجيري

اختتمت فعاليات مهرجان مؤتمر القاهرة الدولي للشعر العربي والتي سميت (دورة صلاح عبد الصبور)- العربي الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة بأمسية شعرية أقيمت على المسرح الصغير بدار الأوبرا تلا هذه إعلان اسم الفائز بجائزة الإبداع الشعري العربي وقيمتها مائة ألف جنيه.عقد هذا المؤتمر تلبية لطلب الأديب الراحل نجيب محفوظ لعقده في ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي الذي عقد في آذار ٢٠٠٥ باعتبار أن الشعر ديوان العرب ، وقد استجاب وزير الثقافة ورئيس المجلس الاعلى للثقافة لهذا ألطلب وسيقام مهرجان للشعر العربي كل عامين بالتناوب مع ملتقى الرواية . (وها نحن اليوم جميع وجدان متطلع للأشعار وأسماع تواقة للقصائد في أمسيات لها في خاطرنا مكانها كزمن استثنائي) بهذه الكلمات بدأ وزير الثقافة المصري كلمته في حفل الافتتاح يوم السبت الماضي بالمسرح الصغير بدار الأوبرا مؤكدا أن الشعر العربي ظل عبر قرون عدة هو جلال التعبير عن الانتصار والانكسار وديوان السير الذاتية وتاريخ الأوطان ولسان المحب والمحارب .. ثم تتبع رحلة الشعر في الأزمان والتي مضت واتكأت عليه فنون كثيرة أبرزها المسرح في بدايته وصارت منافسة له فنون أخرى تميز فيها العرب إبداعا وابتكارا لكن الشعر ظل فن العربية الأول .كما أكد ضرورة عقد هذا اللقاء لكي نحافظ علي سمات هذا الفن الجميل . كما ألقى أمين عام المجلس الأعلى للثقافة كلمة بالمناسبة كما تحدث الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي مقرر لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة عن أهمية الشعر في حياتنا ومدى احتياجنا إلى لغة حميمة دافئة صادقة تصلنا بما نعلم وبما لا نعلم . لغة نحس بها ونفكر ونتخيل ونتذكر ونحلم ونغني بها. لغة نعرف بها أنفسنا والعالم والآخرين .الشعر ضحية من ضحايا الحرب والتعصب والعنصرية والطغيان والرأسمالية المتوحشة . والشعر إذن لا ملجأ له في هذا العالم. ومعنى هذا أن الشعر في خطر لان اللغات القومية في خطر، ففي خلال القرن العشرين اندثرت ثلاثمائة لغة ولهجة ومن المتوقع في ظل العولمة المتوحشة أن يتضاعف عدد اللغات المندثرة . لكننا نستطيع أن ننقذ الشعر كما أنقذناه من قبل في القرن الثامن عشر. وها هي الحملة الموفقة التي قادها الشعراء الأمريكيون ضد سياسة الرئيس بوش في العراق والتي قادها الشاعر الأمريكي سام هامل فأنشأ على الانترنت موقعا سماه الشعر ضد الحرب ويصله بشهر واحد ١٣ ألف قصيدة شارك في كتابتها شعراء من جميع أنحاء العالم . وبهذا يتجدد أملنا في عودة الشعر للتأثير في حياتنا العامة ولهذا التقينا لنبحث عن دور الشعر في حياتنا ودورنا في حياة الشعر .

جوزف حرب.. مشاعر وزمن واسئلة

المدى الثقافي

مجموعة الشاعر اللبناني جوزيف حرب الاخيرة "طالع ع بالي فل" المكتوبة بالمحكية اللبنانية تحمل قصائدها كثيرا من سمات شعره السابق.. كتلك الجدية الحزينة التي تشبه العبوس والنظر الى الحياة بتقطيب لا ظل لابتسامة فيه. لكن المجموعة تحفل بمشاعر اكثر حرارة وتأثيرا في النفس.

وتبقى قصائد حرب مسرحا لاسئلة وجودية طغت على بعضها في نتاج سابق له ميكانيكية ذهنية باردة لكنها في المجموعة الاخيرة استطاعت اخفاء او التخفف من قدر كبير من هذه الميكانيكية لحساب مزيد من الدفء في مشاعر وجدت سبيلها الى السطح في التعبير عن التجربة الشعورية.

واستمرت القصائد في كثير منها تعكس اتجاها عند الشاعر يتمثل في تحويل فكرة او موقف فلسفي ما الى شعر لكنه استطاع في الغالب تذويب الفكري الجامد وتحويله الى مادة شعرية دافئة موحية. صحيح ان هذه المادة لم تتحول الى لهب حارق لكنها في هدوئها الحزين قد تكون اكثر تاثيرا وبقاء من اللهب وهو قصير العمر.

وقد يصعب على القارىء الا يتذكر باستمرار -من حيث الاسلوب والروح التي تسري في كثير من القصائد- الشاعر الكبير الراحل ميشال طراد الذي اهدى اليه حرب اكثر من قصيدة.

الكتاب الانيق الصقيل هو العمل التاسع بين شعر فصيح وباللغة المحكية لحرب صدر عن دار في ٤٤٣ صفحة متوسطة القطع احتوت على ما لا يقل عن ١٨٠ قصيدة تتباين في الطول والقصر. وحرب هو الرئيس السابق لاتحاد الكتاب اللبنانيين.

الغلاف ووسط الوان رحيل غسقية غلب السواد على نورها المتبقي الارجواني اللون حمل صورة تظهر رجلا يشبه الشاعر موليا يسير في اتجاه الغروب. مرة اخرى يمزج الشاعر بين المجازي والواقعي اذ انه اراد ان تاتي الصورة موضحة او منسجمة مع عنوان المجموعة "طالع ع بالي فل" بمعنى ارغب في الرحيل. والعنوان هو عنوان القصيدة الاخيرة في المجموعة.

يشكل عنوان القصيدة زبدة ما فيها اذ جاءت التفاصيل اقرب الى حيثيات تؤدي اليه او اشبه بمقدمات منطقية تؤدي الى هذه النتيجة. وفي تعبير عن تجربة انسانية ترددها عربيا بصور مختلفة منذ "سئمت تكاليف الحياة... لزهير بن ابي سلمى" يقول حرب "عشت/ وعرفت/ حزنت/ وفرحت/ وكبرت/ وهلق/ ي هالدني/ انغمسي بموج الليل./ بيكفي/ زهقت/ من هالكون/ زهقت من هالكل/ وطالع ع بالي فل."

من القصائد التي سبقت الاخيرة بقليل واحدة بعنوان "اجمل" تدخل في باب جردة حساب للعمر وفيها يقول "اجمل م شفت/ امي عشيي/ حاملي بالبيت مسبحة الصلا/ واجمل م عشت/ هاك القصص/ يللي كنت اتخيلا."

اولى القصائد حملت عنوان "كلام" وفيها دخول الى عالم النفس وما يضج فيه. يقول "جوا م بعرف مين في/ جوا/ م بعرف مين عايش../ مين هوي../ وليش غامض../ ليش سري../ وكيف ساكن كل هالايام في../ وكيف ما بعرف ش اسمو/ منين جايي../ شو بيعمل.."

وعلى طريقة مذهب "الاغنوسطية" او اللاأدرية منذ القدم مرورا بالفيلسوف الانجليزي ديفيد هيوم وصولا الى احد ابرز من حملها الينا في العربية اي ايليا ابو ماضي في "الطلاسم" حيث يصل الى خلاصة تشكل زبدة ذلك المذهب فيقول "كل ما اديه اني لست ادري".. يصل حرب الى القول "كل يللي بعرفو/ اني م بعرف."

لكن مشكلة الشاعر ان هذ المجهول زاده تأرقا دون ان يستكين اليه ببرودة الموقف الفلسفي. يضيف هنا وكانه في كلام او حديث عادي كما في اسلوب كثير من شعره قائلا ان عالما من الغرباء يسكنه. "صرت اكتر حزن/ اكتر خوف/ اكتر اسئلي/ .../ في غربا جوا/ م بعرف مين هن/ في/ غربا فاتوا وانا نايم../ وغايب/ اذا بشعر فين بشعر كانن شي/ شبح او شي جرس/ بالعتم عم بيرن/ وبخاف لما بسمعن/ لكن اذا نسيتن بجن..."

في قصيدة "مهجور" عالم رومانسي من الوحدة والوحشة. يقول "نازل شتي رايق/ ع وادي شجر حور/ اصفر/ واحمر/ حط عا كتافو ضباب/ ووحدي وحزن صوتي كاني بيت مهجور/ وهوا حرك الباب/ وغياب شمس وغيم يتمسك فيا/ دموعو.. وعتم ضيع شموعو يقلها/ ضلي.../ هيك روحي/ وقت بتفلي."

قصيدة "سكّر" مثل على القصائد شبه التقريرية التي تطغى فيها الفكرة على التعبير عنها بشكل شعري مؤثر.

قصيدة "انا" تختصر كثيرا من الروح التي تسود قصائد المجموعة. انها العمر المتسارع يفاجئنا بل يصدمنا حين نراه منعكسا خارج انفسنا فنتوهم او نحب ان نتوهم ان الخلل "هناك" في المراة التي شاخت.. لا فينا نحن. يقول "من انا وزغير/ من زمن ستي/ والحكايي/ بعرف مرايي/وجهها يا صيف ضيعة ونسمت بكير/ ولونها بركي بوادي.. وفي قمر غرقان فيها/ شو غرف فضة مضوايي./ ... وافترقنا../ كلمتين وبينهن عالسطر محاييي/ ولما التقينا بعدها../ شو مختيرة صارت المرايي."

خارج المدى

متى نحدّث " لسان العرب " ؟

فاضل السلطاني

اعتدنا ان نقول ان اللغة الحية تعيش خارج القواميس، وهو كلام اقرب الى الشعر منه الى العلم، فاللغة الحية تخلق، بالضرورة، قاموسها الحي الذي يستوعب مفردات الحياة الجديدة، ويمنحها الشرعية ايضا. وبذلك تكتسب هذه المفردات الجنسية الوطنية، وتنتمي بالحق المكتسب الى شجرة العائلة اللغوية. اما القواميس الميتة فهي التي تكتفي بأبنائها الشرعيين، الذين شاخوا عبر القرون، وترفض ان تعترف بالوافدين الجدد، مصرة على التعامل معهم كأبناء شوارع، غير مدركة ان هؤلاء يتوالدون باستمرار بفعل حركة الحياة الفوارة، وانهم، اذا لم يروضوا، قد يصبحون عصيين على السيطرة، وخطرين الى الدرجة التي قد يفترسون فيها حتى الابناء الشرعيين. وفي احسن الاحوال، قد تلتبس الامور علينا، فلا نعود نميز بين الاصيل والدخيل في غياب اية مرجعية لغوية. ولذلك لا يمكن التفكير بلغة حية متجددة كما الحياة، بدون قاموسها الحي المتجدد معها. فاللغة الانجليزية هي قاموس اوكسفورد، كما ان قاموس اوكسفورد هو اللغة الانجليزية، هذا القاموس الذي يتجدد كل عام، ليس لملاحقة تطورات اهله في كل مجالات الحياة، وانما العالم ايضا. فهو، كما هو معروف، اول من ادخل كلمة "فدائيين"، مع بداية حركة المقاومة الفلسطينية، لتصبح جزءاً من مفردات اللغة الانجليزية، ثم كلمة "انتفاضة"، مع انطلاقتها الاولى، ثم كلمة "فتوى" بعد ان اصدرها آية الله الخميني ضد سلمان رشدي. وبذلك اصبح هذا القاموس، مثله مثل قاموس لاروس الفرنسي، حاجة حياتية للمثقفين والمتعلمين يعودون اليها لفهم المفردات ومدلولاتها التي داهمتهم على حين غرة. لا توجد قواميس قديمة في اللغات الحية حقاً. من يعود الآن الى "لسان العرب" الذي صدر في القرن الرابع عشر؟ اننا نعود الى هذا القاموس العظيم حين تستعصي علينا مفردة في الشعر العربي القديم او كتب التراث، وكذلك مع القواميس العربية الأخرى، وكأن اللغة العربية توقفت مع موت اصحاب هذه القواميس الأفذاذ الذين يعادل كل منهم مجمعاً لغوياً كاملاً، وخاصة إذا كان عربياً، وبالاحرى كل المجاميع العربية اللغوية التي لا يعرف المرء ماذا تفعل حقاً. لماذا يتجدد قاموس لاروس، الذي احتفلت فرنسا قبل فترة بذكرى اصداره في ثمانينيات القرن التاسع عشر، ولم يتجدد "لسان العرب" لم يكن الاول سوى مشروع شخصي لبيير لاروس، لكنه لم يتوقف بموته، بل سرعان ما أصبح مؤسسة عامة، ثم مؤسسة وطنية قال عنها الرئيس الفرنسي انها فخر فرنسا القومي، وتاج اللغة الفرنسية. ولا يقل فخر الانجليز درجة عن ذلك بقاموسهم اوكسفورد. اية فاجعة لا نتوقف عندها، كعادتنا، ان تكون اللغة العربية "الحية" بلا قاموس معاصر حقاً يستوعب كل المفردات الجديدة التي دخلت حياتنا الجديدة منذ اكثر من نصف قرن. اننا ما زلنا نحار في اعتماد كلمات معينة، وهي كثيرة جداً، في صحافتنا وكتاباتنا. ولكل بلد عربي مفرداته الخاصة المختلفة للشيء نفسه. ويبدو اننا ما زلنا ندور في الفلك نفسه، والذهنية نفسها، يوم اقترح اللغوي الجليل الراحل مصطفى جواد قبل اكثر من ثلاثين سنة ان نترجم كلمة " ساندويج" بـ "الشاطر والمشطور وما بينهما". وتصور الموقف السريالي الذي ستجد فيه نفسك وانت تطلب وجبة سريعة لاشباع جوعك بهذه العبارة المفصحة والمفذلكة، ونشك ان مصطفى جواد نفسه كان سيفعل ذلك. ان نمتلك "لسانا عربيا" حديثاً ليس امراً مستحيلاً، اذا تولت الجامعة العربية مثل هذه المهمة، وأوكلت بها الى مختصين اكفاء ذوي ذهنيات متفتحة حقاً، تدرك ان الحرص الحقيقي على اللغة العربية يكمن في اغنائها وليس في تجميدها في قواميس يمكن ان تحال الى المتاحف اذا لم تغتن بلغة الحياة الجديدة، وتمتلك الشجاعة على تسمية "الكمبيوتر" كمبيوتراً، وليس حاسوباً، كما اقترح الراحل جواد، وتسمى "الانترنيت" انترنيتاً، وليس شبكة معلومات. لن يضير ذلك اللغة العربية بشيء، بل يغنيها، كما لم يضر اللغة الانجليزية بشيء، بل اغناها، حين دخلت الى قاموسها كلمات مثل "شريعة" و"فتوى" و"انتفاضة" وغيرها عشرات المفردات من كل لغات الارض، وبشكل سنوي.

عندها نستطيع ان نفاخر بلسان عرب حديث كما يفاخر الانجليز باكسفوردهم، والفرنسيون بلاروسهم (وعذراً من التعريب)!